

مرجعيات العدالة في فكر رولز

Foundations of justice in Rawls's thinking

رباحي فتيحة¹، أ.د. زرافة يوسف²

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)،

rebahifatiha13@gmail.com

dr.zerafayoucef@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/12/22 تاريخ القبول: 2023/01/10 تاريخ النشر: 2023/03/05

ملخص:

أسس رولز للعدالة على نحو تعاقدية من خلال مفهوم الوضع الأصلي الذي يتموضع فيه الأشخاص تحت حجاب الجهل ، والذي يجهلون بموجبه موضعهم المستقبلي داخل المجتمع الجديد ، حيث يكونون على دراية بالشؤون العامة للحياة السياسية ويجهلون الخصوصيات الجزئية ، وبعد مناقشتهم للمبادئ المختلفة في تاريخ الفكر السياسي ، ينتهي المشتركون الى الاتفاق على مبدأ الحرية المتساوية للجميع ومبدأ الاختلاف المبرر لبعض التفاوتات المشروطة بإنتاج الفوائد للواقعين عند العتبة السفلى في المجتمع .

وما يميز هذه المبادئ التي يقترحها رولز هي استراتيجيته الكانطية في صياغتها حيث تكون ضرورية وثابتة وعلى أساس أخلاقي يمكن من خلالها الحد من تسارع النفعية والقصر من تبريرات العدالة على نحو نفعي ، ويؤكد بذلك رولز على أولوية العادل على النافع مع الإبقاء على النافع .

وتكون هذه المبادئ بمثابة الأساس القاعدي للمجتمع الجديد وترسي بذلك قواعد الاحترام المتبادل وقيم التعاون .

الكلمات المفتاحية:

العدالة، الإنصاف، مبدأ المساواة، مبدأ العقد الأصلي.

Abstract:

Rawls's foundations of contractual justice through the concept of the original situation i.e people are placed under the veil of ignorance, where they are familiar with the general affairs of political life and ignorant of the partial specifics, and after their discussion of the various principles in the history of political thought, it ends The participants agreed on the principle of equal freedom for all and the principle of justified difference for some disparities that are conditional on the production of benefits for the realists in the lower level of society

What distinguishes these principles is the Kantian strategy in formulating them where they are necessary, constant and on an ethical basis through which the acceleration of utilitarianism and the shortage of justifications for justice can be minimized in a beneficial manner, and thus Rawl stresses the primacy of the just over the beneficial.

These principles are the basic foundation for the new society and thus lay down the rules for mutual respect and the values of cooperation.

Keywords: justice, Rawls, equality principle, original contract principle.

مرجعيات العدالة في فكر رولز

استحضرت العدالة 'وعبر الأزمنة المختلفة في قوالب نظرية منتجة تستدعي مشروعيتها من مرجعيات مختلفة حسب الديناميكية الموجهة لها وعلى هذا الشكل أو النموذج كانت هنالك رؤى حول العدالة في الحقبة المعاصرة والتي تراوحت على العموم بين النظرة الليبرالية والتصور الاشتراكي لها، ولكن لتبدي المفارقات في كلا النمطين استدعى المعطى الواقعي بذلك ضرورة البحث عن ثقافية عدلية جديدة.

وتجاوبا مع هذه المعطيات السابقة ، وبقصد تنقيح الليبرالية الممتزجة بالنفعية المتجذرة في الخطاب الفلسفي الأنجلوسكسوني، ينفرد رولز برؤية نوعية فريدة وبديلة في العدالة وهي الرؤية التي سنتطرق إليها في هذا المقال.

بعد الدراسة التي قام بها رولز حول المتناقضات المتضمنة لكل من المذهب الرأسمالي والاشتراكي وتبيان الحدود العملية لكل منهما ، من أجل الخروج بنتيجة بديلة عن تناول العدالة من منطلق هذه الفارقات هناك مرجعيات يستند إليها رولز لإبراز فكرته الجديدة حول العدالة الاجتماعية: ماهي المرجعيات الرولزية؟ ما هو البديل المفهومي والممارساتي المنظر من طرف رولز لاحتواء وتجاوز مفارقات العدالة الراهنة لدى الليبرالية وامتزاجها بالنفعية المتسارعة وكذا تمثيلات المساواتية والاشتراكية؟ وماهي المبادئ الفلسفية التي اعتمدها رولز كبديل مرجعي للعدالة الاجتماعية ؟ وما هو موقع رولز التأثيري في تجدد الفكر الفلسفي السياسي من خلال الإشكالية التي تناولناها؟

ومن أجل شمولية الإحاطة بهذه الإشكالية وتوضيح أكثر لمرجعيات رولز الأساسية في تجسيد فكرته للعدالة الاجتماعية تطرقت الى أهم المرجعيات الأساسية التي اعتمدها رولز وهي إظهار الأساس التعاقدي لنظرية العدالة على غرار المفهوم الكلاسيكي المعهود ، وتأثره بذلك بالفكر التعاقدي وأيضا بمبادئ العدالة وأولويتها الترتيبية بالنظام التسلسلي وهي المؤسسة للعدالة المنصفة ، البعد

مرجعيات العدالة في فكر رولز

الأخلاقي للنظرية الرولزية في العدالة الذي يستمد من البنائية الكانطية بالعودة البراغماتية والاستراتيجية إلى التراث الكانطي من قبل رولز وكيفية توظيفه له في أحكام مبادئ العدالة.

إن المفارقات التصورية لمفهوم العدالة على مرور الأزمنة التاريخية للفكر السياسي وخاصة في النمطين الليبرالي وهو الذي يسعى رولز الى تنقيحه والاشتراكي وهو ما أكد على ضرورة الاستمرارية في البحث عن نموذج أو نماذج جديدة للعدالة ، وتجاوبا مع هذا المعطى ، انفرد رولز برؤية بديلة يمكن أن نصلح عليها بما بعد العدالة الأحادية التركيز والتي سنقوم بتحليلها وإظهار أساسها التعاقدي ومبادئها الجديدة وبعدها الأخلاقي وأثر ذلك على بناء مجتمع عادل ومنصف ، في هذه المرحلة الأولى.

تستند مختلف الأنساق الفكرية في صياغة نظريتها السياسية وتبرير أهميتها إلى أسس منطقية و بحيث يمكن من خلالها إبراز أهميتها بالنظر إلى المستجدات الواقعية ، فلولز وبغرض هيكلته نظريته البديلة في العدالة استقى السياق الشكلي أو الصوري للنظرية الكلاسيكية في التعاقد المعهودة عند فلاسفة العقد الاجتماعي أمثال هوبز ، روسو ، ولوك و مع مفهوم خاص للوضع الأصلي الذي يكون فيه الأشخاص على ميزات معينة ، وكذا إقرار عدم إمكانيتهم على التنبؤ بوضعهم المستقبلي داخل المجتمع وذلك لتموضعهم تحت حجاب الجهل كما يتصور ذلك رولز. (DU DUPUY , 1999, PP53.54)

ولكن تصور الوضع الأصلي من قبل رولز، ليست القصيدة منه إضفاء الشرعية على نظام سياسي أو الانتقال من مرحلة قبل اجتماعية إلى مرحلة سياسية أو إرساء أسس نظام ما معين ، وإنما الغاية منه هي إبراز الفكرة الأساسية لمبادئ العدالة التي تكون موضوع اتفاق بين الأشخاص في الوضع الأصلي.

(Rawls, 1997, p37)

مرجعيات العدالة في فكر رولز

وفي هذا الوضع "الافتراضي" يكون الأشخاص متوفرين على معارف عامة حيث يفهم الأشخاص في الوضع الأصلي الشؤون السياسية ومبادئ النظرية الاقتصادية ويعرفون أسس النظام الاجتماعي والقوانين الخاصة بالسيكولوجية الإنسانية". (Rawls, 1997, p169)

وبذلك يكون للجميع معرفة عامة حول اختيار مبادئ العدالة المنصفة. وفي الوضع الأصلي يتموضع الأشخاص العقلانيون تحت حجاب الجهل وهو مفاعل بنائي منهجي وظفه رولز لإحكام مضمون مبادئ العدالة وتحديد بها بصرامة مطلقة.

فمن منطلق حجاب الجهل الذي يحجب الرؤى المستقبلية في الوضع الأصلي 'يصور رولز الأشخاص المشتركين على أنهم يجهلون الخصائص الجزئية و الدقيقة عن مكانتهم المستقبلية داخل المجتمع ' فلا أحد يعرف مكانته الاجتماعية أو وضعيته الطبقيّة التي سيرتقي إليها ' ولا يعلم أي كان نصيبه في اقتسام الثروات وتوزيع العائدات ، إضافة إلى ذلك فالأشخاص يجهلون الوضعية الاقتصادية والسياسية ومستوى الثقافة والتحضر التي يمكن بلوغها ولا درجة القوة والذكاء التي يمتلكونها والتي ستحصل لهم في المجتمع الجديد. (Rawls, 1997, p37)

لأن المجتمع يمتلك عتبة عليا وأخرى سفلى والتموضع في إحدهما بالنسبة للأشخاص يكون جدليا ، فالعقلانية تستوجب إلغاء التسرع في الاختيار منذ البداية قبل مراعاة هذه الاعتبارات المتعددة ، وذلك لإمكانية الانعكاس السلبي لكل ذلك على الذات الإنسانية في حالة عدم التعقل والتصرف بدواعي نفعية ، فاختيار مبادئ العدالة يكون بمقتضى مناقشة هذه التوقعات وتمحيصها وهنا يتبدى بالقطيعة أن المبادئ الضامنة للإنصاف والحفاظة للكرامة الإنسانية هي المرجحة للاختيار على الإطلاق وفي جميع الأحوال حسب رولز. (ديلو، 2000، ص452)

مرجعيات العدالة في فكر رولز

فللمشتركين مطلق الحرية في استعراض مختلف تصورات العدالة في تاريخ الفكر السياسي ليختاروا منها ما يتناسب ووضعتهم هذه ، بما أنهم متموضعون تحت حجاب الجهل الذي يجهلون بمقتضاه تموقعهم المستقبلي داخل المجتمع ، فيستطيعون عرض الوجهة القائلة بأن العدل هو انسجام مع القوانين الطبيعية وما تمليه من تفاوت غير مشروط أو الموقف المؤسس للعدل على القوة والامتياز الشخصي ، وكذلك المذهب النفعي الذي لا يستوفي الأثرية التي يمكن أن تكون في الدركة السفلى ، لكنهم سيرفضون كل هذه الوجهات المختلفة ، لأن إمالة الحجاب قد يكشف للبعض على أنهم متموضعون في مراكز لا تتلاءم مع اختيارهم الأولي وبالتالي فمن الضروري مقابلة ذلك بالرفض القطعي لأن الإنسان يسعى دائما إلى حفظ كرامته في هذا المجتمع الجديد حسب رولز. (دي كريستي، مينوج، 1988، ص117)

أما التوزيع وقواعده فإن الأشخاص يستبعدون التنظيرات التي تؤسس للإقصاء والإجحاف وإنما المبدأ الوحيد الذي يمكن تقبله هو مبدأ المساواة ، لكن بحكم عقلانيتهم يمكنهم الالتفات إلى وجود أنواع مختلفة من التمييز في مجال التوزيع يمكن الاستفادة منها ، خاصة لذوي الامتيازات الأدنى. (دي كريستي، مينوج، 1988، ص118)

وفي الأخير يمكن القول ، أن الاستعانة بالإجراء التعاقدي وافترض الوضع الأصلي وحجاب الجهل من قبل رولز هو التمهيد لصياغة مبادئ العدالة وفق تسلسلية برهانية تبين أهمية العدالة وضرورة اختيار مبادئها بصرامة قطعية. (Cyrille, 2003, p25)

إن المقصد العام من افتراض الوضع الأصلي ، الذي يكون الأشخاص العقلانيين فيه متموضعون تحت حجاب الجهل ، هو إبراز مبادئ العدالة التي يتعاقد عليها المشتركون على أساس الاقتناع والتي ستكون بمثابة شبكة الأمان

مرجعيات العدالة في فكر رولز

بالنسبة للأشخاص داخل المجتمع ،فما هي هذه المبادئ التي يتعاقد عليها
المشتركون في الوضع الأصلي؟

يتفق المشتركون بموجب ما سبق ، على المبدأين الأساسيين المتمثلين فيما

يلي :

1- لكل شخص أن يحصل على حق مساوي في أكثر أشكال الحرية شمولاً
وأوسعها مدى تتلاءم مع حرية مماثلة للآخرين .

2- يجب أن يتم تسوية التفاوتات الاجتماعية والاقتصادية بحيث:

أ. تنتج الفوائد لأقل المستفيدين .

ب. يترتب عليها مراكز ومناصب مفتوحة أمام الجميع. (Rawls, 1997, p91)

وتكون هذه المبادئ مرتبة على هذا النحو التسلسلي بحيث يجب احترام هذه
التراتبية في الأولوية ،ومن أجل ضمانها أي التراتبية يقر رولز بضرورة ما اصطلح عليه
بالنظام القاموسي أو التسلسلي وهو نظام يتطلب تلبية المبدأ الأول في التصنيف
قبل الانتقال إلى الثاني والثالث قبل أن نعتبر الثالث وهكذا ، فلا ندخل مبدأ جديد
إلى التوظيف قبل أن يكون سابقوه قد تمت تلبيةهم بالكلية أو تم الاعتراف باستحالة
تطبيقهم. (Rawls, 1997, p68)

وتكمن أهمية هذا النظام في كونه ضروري و مصيري في بناء نظرية العدالة
كإنصاف.

وما يلاحظ على رولز في فكرة النظام القاموسي هو تقاطع مفهومه هذا مع ما
اعتبره روسو ضروري في الحفاظ على فعالية العقد الاجتماعي ، بحيث يرى روسو أن
بنود العقد بالنظر إلى أنها محكومة بطبيعة العقد نفسه ، فإن أي تغير فيها قد يحول
بالعقد إلى عدم الصلاحية والفعالية. (rousseau, 1980, p19)

مرجعيات العدالة في فكر رولز

وهي نفس الصرامة البنائية في التأكيد على أولوية الحرية المتساوية على مبدأ الاختلاف عند رولز، والاختلال بالترتيب قد يلغي بالقطعية نظرية العدالة الكلية. ومن أجل توضيح معاني ومضامين المبدأين الأساسيين في نظرية العدالة الرولزية، ينبغي تحليل كل منها منفردا وبعد ذلك نعود إلى إبراز العلاقة والأهمية التكاملية بينهما :

1- مبدأ الحرية المتساوية للجميع: وهو المبدأ الأول والأساسي الذي يمهّد للمبدأ الثاني، ويعرض تحليل مفهوم الحرية في السياق المنهجي المتضمن في نظرية العدالة، يتوجب علينا تحديد المستويات الأساسية المشكلة لمعادلة الحرية، والمتمثلة في الأشخاص المتحررين والقيود التي تحرروا منها وما هم أحرار بممارسته وما يجب لهم الامتناع عن ممارسته. ومن منطلق ذلك يمكن اعتبار هذا الشخص حر أو غير حر ليفعل أو يمتنع هذا الشيء أو ذلك. (Rawls, 1997, p238) وما يؤكد عليه رولز في مبدأ الحرية المتساوية هذا أن "الحريات الأساسية لا يمكن القصر منها إلا باسم الحرية". (Rawls, 1997, p314) وإلى هذا المستوى من الطرح يبقى رولز وفيا للتقليد الفلسفي الليبرالي الذي يريد تنقيحه .

فالحريات يتساوى فيها الأشخاص والتي تضمنها القوانين الدستورية كحقوق ضرورية للأفراد وتجعلها ممكنة، يلخصها رولز في "الحريات السياسية المتمثلة في حق الانتخاب والاشتغال في منصب عمل عمومي وحرية التعبير والتجمع، وحرية التفكير والوعي". (Rawls, 1997, p92)

وحرية الشخص المتضمنة لحمايته من الضغوطات النفسية والاعتداءات الجسدية، وحق الملكية الفردية والحماية من التوقيف والسجن التلقائي (دون مبررات)، كما هي محددة من طرف دولة الحق. (Rawls, 1997, p238)

مرجعيات العدالة في فكر رولز

أما الحريات الأخلاقية والفكرية والاعتقادية ،يتم تنظيمها بقدر إمكانية اعتدالها مع الفضاء السياسي العام للمجتمع ،فالدولة لا تشجع كما لا تعرقل الانتماء والتوجه في أي سياق مذهبي أي كان ،لكن ما لا تسمح به هو توظيف الحرية بما لا يتوافق والصالح العام وذلك من تفادي اللاعدالة ،وهذا نظرا للمفهوم السياسي الذي يكون مشتركا بين جميع الأشخاص حول العدالة لأن مجال الفرد و حرياته الخاصة تبقى في مجال الفضاء الشخصي له فقط .وهذه الحريات بدورها تكون مهيكلية ومحمية وفق الأسس الدستورية للمجتمع الديمقراطي.

(Rawls, 1997, pp250-251)

2- مبدأ الاختلاف: وهو المبدأ الثاني في الترتيب حسب النظام القاموسي الذي وضعه رولز، وإذا كان رولز قد قدم الأولوية لمبدأ الحرية المتساوية وذلك لأهميته فانه بخصوص مبدأ الاختلاف يشدد الحرص على ضرورة الإحاطة به من جميع أبعاده قبل تطبيقه ،وهو ما يتطلب معلومات أشمل ، أولها تطبيق المبدأ الأول في الحرية المتساوية باعتباره السابق منطقيا من جهة، وما يجعله على هذا القدر من الأهمية ثانيا من كونه منعرج الاختلاف عن الليبرالية الاقتصادية من جهة أخرى.

(Rawls, 1997, pp234-235)

فالتفاوتات والفروق لا يجب أن تؤسس لـ"اللاعدالة"، وإنما ينبغي أن توصف في الصالح العام، خدمة للأشخاص الواقعيين في العتبة السفلى من المجتمع مع احترام الحرية الشخصية للجميع ، وذلك لما يمكن أن يثيره الاختلاف في الموضع الاجتماعي لدى أقل المستفيدين من آراء عدم التقبل للتفاوت التي لا تخدمهم ،لذلك عمد رولز إلى البحث عن الضامن للاستقرار الاجتماعي الذي يجد له الوسيلة في التعاون الاجتماعي الذي تقوم بموجبه الفئات الأكثر استفادة بمساعدة الفئات الأقل استفادة بغية تكريس عدالة إنصافيه حقه. (Collin, 2001, p244)

مرجعيات العدالة في فكر رولز

أما البند الثاني من المبدأ الثاني الذي يدعو رولز بالمبدأ الليبرالي للمساواة المنصفة في الفرص ،القاضي بتوفير نفس الفرص والإمكانيات لنفس الأشخاص في المنافسة ، سيظهر بعض التفاوتات الذي يمثل تقبلها تكريسا لعدالة منصفة غير مساواتية وإنما تكون فقط مشروطة وتستمد شرعيتها من مبدأ الحرية المتساوية، وضرورة إنتاجها لفوائد المشتركين الأقل استفادة. (ديلو، 2000، ص ص454-455) ويتجلى مما سبق أن مبادئ العدالة الرولزية في صياغتها هي تساؤل عن كيفية المحافظة على أولانية وألوية الحرية الفردية باعتبارها السمة الجوهرية للطرح الليبرالي ، بما يتوافق وإمكانية عدم بروز لا مساواة غير محدودة في الاطار الاجتماعي للأشخاص العقلانيين. (Russ, 1994, p346)

ومن ذلك فهي محاولة رولزية للاستمرار في الشق الليبرالي مع تنقيح منهجي ومقصود لليبرالية والنفعية بمفاعلات استقاه رولز من الأطروحات الاشتراكية (المساواة)، والفلسفات الأخلاقية (الكانطية) فيما يخص البعد القيمي لبناء نظرية جديدة في العدالة ، هي نظرية العدالة كإنصاف.

تتميز مبادئ العدالة الرولزية ، إلى جانب اعتماده على المفهوم الشكلي للعقد الاجتماعي في صياغتها ببعدها الأخلاقي الذي استقاه رولز من الفلسفة الأخلاقية الكانطية ، ولكن تحليل البعد القيمي للنظرية الرولزية يتوقف على الإحاطة بالفكر المعاصر وخصوصيته وذلك للميزة الأخلاقية التي يتضمنها هذا الفكر في هذه الحقبة الزمنية والدواعي التي استوجبتها وأكدت على ضرورتها .

فالمتتبع إذن لحيثيات الخطاب الفلسفي المعاصر يتجلى له وبصفة غير مسبقة عودة التيارات الفكرية المختلفة إلى الفلسفة الأخلاقية النظرية، وذلك ما يتبدى من خلال المضمون للمناقشات المختلفة ، إضافة إلى مقارنة الأطروحات المتعددة بجهاز مفاهيمي أخلاقي ، وكذا بروز توجهات فكرية جديدة اتخذت من

مرجعيات العدالة في فكر رولز

منطلقات قيمية سابقة أساسا فلسفيا في تحليل القضايا الراهنة. (روس، 2001، ص9)

وتسجيل هذه العودة هو نتيجة للمعطيات الحضارية في شقها القيمي، حيث صراع الإيديولوجيات وتسارع النفعية والفردانية و مخاطر العدمية التي يلخصها مجملة مفهوم الفراغ الأكسيولوجي وهي ميزة العصر. (روس، 2001، ص13)

وهذا ما استدعى استحداث الصياغة لشبكة العلاقات الاجتماعية المفككة وتأصيل معاني التكامل العلاقتي وإعادة النظر في البيئة التقنية المثقلة بالتهديدات على عضوية الإنسان و أخلاقيته. (Russ, 1994, p388) بأبستمولوجيا قصدها الموازنة بين الغايات الإجرائية للممارسات الإنسانية وإسقاطاتها على واقعه السياسي و الاجتماعي ، محاولة بذلك جسر اللاشرطية والعقلانية القصوى بواقع الإنسان ومستقبله ، بالاستناد إلى مرجعيات كلاسيكية والتمهيد لتثبيت مبادئ جديدة في المجتمع تكون مبنية على أساس من الواجب والمسؤولية والعدالة .

وتبين البعد القيمي لنظرية العدالة الرولزية يتوقف على مقارنة الطرح الرولزي نفسه من هذه الزاوية المدخلة للفكر المعاصر بسماته العامة التي تعتبر الأخلاقية منها احد خصوصياته الجوهرية.

فصياغة نظرية العدالة كإنصاف هي بمثابة نقد تجاوزي لوثوقية مذهب المنفعة العامة، واقتراح لبديل وتصور جديد للعدالة من طرف رولز، وذلك لوجود التعارض بين الاعتبارات النفعية ومستجدات العدالة، بحيث ترد إمكانية تبرير التجاوزات بدواعي المنفعة من جهة ، إضافة إلى أن ما هو نافع ليس بالضرورة عادل من جهة أخرى . فيفرض بذلك رولز -على غرار الحدسيين الارتكان إلى الحدس الداخلي للتمييز بين العادل وغيره ، رغم أنه أقر بامتلاكنا لقريضة حسية بما هو عادل ، لكنها قريضة لا تغني من تصور منظم يفسر لنا ما إذا كان إحساسنا بالعدل بما هو

مرجعيات العدالة في فكر رولز

عليه صحيحا أم أنه مجرد إحساس قد يتجلى كنقيض. (دي كريستي، مينوج، 1988، ص ص110-114)

وعلى هذا الأساس يستجوب رولز أولوية العدل على النافع بخلاف النفعية لعمومية مفهوم العدل مع المحافظة على المفهوم السياسي للنافع بحيث تكون الأفكار النفعية متضمنة في التصور السياسي العام للعدالة، ومتلائمة مع الفضاء الذي تخصصه لها في تقاسم المنافع المشتركة. (Rawls, 1993, p313)

فبلورت نظرية في العدالة يتطلب مراعاة امتدادات الفعل النفعي وانعكاساته على الشؤون الجمعية وكذا إمكانية قصره للحرية لحساب الآخرين وهو ما يستجوب الأخذ بالتعددية في المجتمع بإرساء قواعد أخلاقية في بناء نظرية في العدالة. (Rawls, 1997, p153)

وما يميز النقد الرولزي للمنفعة القصوى المتجذرة في التقليد الفلسفي الأنجلوسكسوني والموجهة لديناميكية، هو استراتيجيته الكانطية التي اعتمدها في هذا التنقيح لليبرالية والنفعية الخاصة فقد شكلت المفاهيم البنائية الكانطية المتمثلة في القطعية والشرطية والواجب و العمومية التي يحتويها العقل العملي ن المرجعية الأخلاقية والجهاز التحليلي والتركيب في تحديد مبادئ العدالة وصرامة تسلسلها بالنسبة لرولز، وكذا تصوره لمفهوم الشخص الأخلاقي في الربط بين الحق والقانون من جهة والأخلاق من جهة أخرى والتي اعتمدها مجملة في اختراق النفعية وتوطيئها القطعية على الطريقة الكانطية بإرساء الحق يستوجب قانون وصرامة أخلاقيين ورفع الصرامة قد يلغي القانون. (Collin, 2001, pp 16-17)

وإلى جانب ذلك نجد اللزمة النقدية الكانطية بما هي توفيق في التعامل الرولزي مع مفهوم الحرية و المزاوجة بين الحريات المدنية والحريات السياسية والإرادة العامة. (Rawls, 1993, p79)

وتتجلى علاقة مبادئ العدالة الرولزية بالواجب والأخلاق الكانطية فيما يلي:

مرجعيات العدالة في فكر رولز

أولاً: ارتباط الأشخاص بالمبادئ والعمل بها يكون بصفة ضرورية كما هو الحال في الواجب الكانطي "فمبادئ العدالة مماثلة للأوامر القطعية بالمعنى الكانطي" بما هي صارمة ومجردة من تبريرات نفعية متسارعة . (Rawls, 1997, p289)

ثانياً : إن مبادئ العدالة مبنية على أساس الاختيار والإرادة الحرة حيث تصبح ثابتة ولها صفة العمومية وهي بذلك مشتركة بين الناس وهذا ما يمنحه صبغة التعاقدية الأخلاقية الموروثة عن كانط، والتنظير لذلك يكون وفق قراءة صورية وشكلانية للنظرية الكانطية لان الأخذ بالمضمون الأخلاقي بالكلية قد يعيق بناء تصور ومفهوم سياسي للعدالة، لأن أصالة النظرية الكانطية لا تكمن في أنها تؤسس للأخلاق بالعمومية والكونية من منطلق معين هو الغاء في الفعل الأخلاقي وإنما في الهيكل المنهجية لهذه المبادئ الأخلاقية بما هي ثابتة وضرورية وقطعية تتلاءم مع مستلزمات بناء النظرية في العدالة تكون ثابتة صارمة.

فالعودة المنهجية إلى كانط من قبل رولز لم تكن الغاية منها هو بعث المذهب الكانطي كنسق كلي في الأزمنة المعاصرة باعتبار هذا الأخير يؤسس لشمولية و عمومية الواجب الأخلاقي (Rawls, 1997, p288) ، وإنما لما يتضمنه هذا النسق من مفاهيم بنائية وإمكانية الاستفادة منها ، لان تصور العدالة بمقتضى مذهب معين يتعارض جوهرياً مع التصور الرولزي نفسه "فنظرية العدالة كإنصاف صممت ونظرت كمفهوم سياسي للعدالة". (Rawls, 1993, p207)

إن المحاولات العديدة في الفكر المعاصر لاقتراح رؤى مغايرة وكتجديد يمكن من خلاله التأسيس لتصور جديد ونظرية بديلة في العدالة تكون كفيلة بتجاوز كل المفارقات في العقل الإنساني من الشرق القديم الي العصر اليوناني امتدادا إلى الأزمنة الوسيطية والإسلامية إلى الحقبة الحديثة والأزمنة المعاصرة حول تحديد تصور جديد لنظرية العدالة ،لقد قدم رولز نموذج جديد كفيل باحتواء هذه

مرجعيات العدالة في فكر رولز

المفارقات كروية بديلة في العدالة وكيفية تحقيقها في المجتمع باقتراح مبادئ لعمل بنية المؤسسات في المجتمع مع ادراك التفاوت والاختلاف بين أفراد المجتمع ، التفاوت الاقتصادي والاختلاف الديني والعرقى وهدف هذه المبادئ العمل على خلق تكافؤ واجعله منصفاً لكل فرد ينتمي الى هذا المجتمع.

لقد انفراد الفيلسوف السياسي جون رولز، برؤية بديلة في العدالة ومبادئها وكيفية تجسيدها، حيث أسس للعدالة على نحو تعاقدى من خلال الوضع الاصلي الافتراضي الذي يتموضع فيه الأشخاص تحت حجاب الجهل، والذين يجهلون بموجبه موضعهم المستقبلي داخل مجتمعهم الجديد، حيث يكونون على دراية بالشؤون العامة للحياة السياسية، ويجهلون الخصوصيات الجزئية وبعد مناقشتهم للمبادئ المختلفة في تاريخ الفكر السياسي، ينتهي المشتركون إلى الاتفاق على مبدأ الحرية المتساوية للجميع ومبدأ الاختلاف المبرر لبعض التفاوتات.

ما يميز هذه المبادئ التي يقترحها رولز هي استراتيجيته الكانطية في صياغتها، حيث تكون ضرورية و ثابتة و على أساس أخلاقي، يمكن من خلالها الحد من تسارع النفعية و القصر من تبريرات العدالة على نحو نفعي ، و يؤكد بذلك رولز على أولوية العادل على النافع مع الإبقاء على النافع خاصة بما يتعلق بالخيرات الأولية و الأساسية مثل الحرية.

و بناء على ما يتضمنه المشروع الرولزي من تحليلات و انتقادات باعتباره بديلاً للبرالية النفعية، نستنتج أن نظريته الجديدة هذه في صميم البحث الفلسفي السياسي ، ومن هنا يتبدى المنعرج الفكري الذي أنتجه الفكر الرولزي في عموميته، خاصة من خلال كتابه " نظرية العدالة" حيث يعتبر هذا المؤلف الأساس بمثابة الإصدار الفاصل و الحاسم في تجدد الجدال الفلسفي في القضايا السياسية.

نتبين أن قيمة الفلسفة الرولزية ، و كأي فلسفة أخرى، إنما تكمن في الإشكاليات التي تستظهرها و الحلول التي تقترحها، فالمشروع الرولزي في جوهره هو

مرجعيات العدالة في فكر رولز

تساؤل عن مستقبل الليبرالية في خضم تسارع النفعية و مدى تأثيرها على الحرية الفردية.

و ما يمكن أن نجمل تلخيصه عن القيمة الفعلية للعدالة والفكر الرولزي يكمن أساسا فيما يلي:

- النزعة النقدية التي تمثل الميزة الأساسية للفكر الرولزي ، حيث نجده يوفق بين تقليدين فلسفيين متعارضين و هما الأخلاق الكانطية المؤسسة على الواجب من جهة ، و الأخلاق البراغماتية المبنية على المنفعة من جهة أخرى.

- سعى رولز إلى إنتاج أطر التداخل و التماس بين الحريات المدنية من جهة و الحريات السياسية من جهة أخرى ، إضافة إلى المحاولة التركيبية له بين الليبرالية والاشتراكية .

- نستنتج أيضا أن رولز انطلق من إشكالية جزئية و هي فكرة العدالة إلى البحث في إشكالية أكثر عمومية و هي دولة الحق و القانون التي تتحدد من خلالها بذلك عكس المعادلة النسقية الكلاسيكية التي كان الجزئي فيها متضمن في الكلي ، و منه تحديد الجزئي يتوقف على معالجة الكلي.

- نستخلص أيضا أن الفلسفة السياسية المعاصرة سجلت تجدها الفعلي من داخل الخطاب الأنجلوسكسوني المهيكل لفلسفة التحليل و البراغماتية، وهو الخطاب الذي ساهم في وقت سابق في انحطاط الفلسفة السياسية ، وهذا التجدد كان الفكر الرولزي الأنجلوسكسوني هو الممهد الفعلي له.

5. قائمة المراجع:

- دي كريستي. أنطوني. مينوج. كينيث. (1988) *أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة*. تر نصار عبد الله. الهيئة المصرية العامة للكتاب. مصر.
- ديلو. ستيفان. (2000) *التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني*. تر ربيع وهبة. القاهرة.
- روس. جاكين. (2001) *الفكر الأخلاقي المعاصر*. تر عادل العوا. عوידات للنشر والطباعة. لبنان.
- Collin. Denis. (2001) *Morale Et Justice Sociale*. Paris: Seuil.
- Cyrille. Rouge-Pullon. (2003) *John Rawls Vie Œuvres Concepts*. Paris : Ellipses.
- Du Dupuy. Jean Pierre. (1999) *Ethique Et Philosophie D'action*. Paris : Ellipses.
- Jaume. Lucien. (2000) *Laliberté Et La Loi Les Origines Philosophique Du Libéralisme*. Paris: Fayard.
- Rawls. John. (1993) *Justice Et Démocratie*. Trad: Catherine Audiard. Paris: Seuil.
- Rawls. John. (1997) *Théorie De La Justice*. Trad. Catherine Audard. Paris: Seuil.
- Rousseau. Jean Jacques. (1980) *Du Contrat Social*. Alger: S.N.E.D.
- Russ. Jacqueline. (1994) *La Marche Des Idées Contemporaine*. Paris: Madcolin.